شرح
رسالة العبودية

المجلس السادس

فضيلة الشيخ
عبد اللّه الغنيمان
-حفظه الله-

شرح

رسالة العبودية

المجلس السادس

لفضيلة الشيخ

عبد اللّه الغنيمان

-حفظه الله-

بسم الله الرحمن الرحيم

القارئ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد ولد آدم أجمعين.

قال المصنف رحمه الله : [إِذا تبين هَذَا فَكلما ازْدَادَ الْقلب حبا لله ازْدَادَ لَهُ عبودية ازْدَادَ لَهُ عبودية، وَكلما ازْدَادَ لَهُ عبودية ازْدَادَ لَهُ حبا وفضله عَمَّا سواهُ. وَالْقلب فَقير بِالذَّاتِ إِلَى الله من وَجْهَيْن: من جِهَة الْعِبَادَة وَهِي الْعلَّة الغائية وَمن جِهَة الِاسْتِعَانَة والتوكل وَهِي الْعلَّة الفاعلة فالقلب لَا يصلح وَلَا يفلح وَلَا ينعم وَلَا يسر وَلَا يلتذ وَلَا يطيب وَلَا يسكن وَلَا يطمئن إِلَّا بِعبَادة ربه وحبه والإنابة إِلَيْهِ وَلَو حصل لَهُ كل مَا يلتذ بِهِ من الْمَخْلُوقَات لم يطمئن وَلم يسكن إِذْ فِيهِ فقر ذاتي إِلَى ربه من حَيْثُ هُوَ معبوده ومحبوبه ومطلوبه وَبِذَلِك يحصل لَهُ الْفَرح وَالسُّرُور واللذة وَالنعْمَة والسكون والطمأنينة.

وَهَذَا لَا يحصل لَهُ إِلَّا بإعانة الله لَهُ فَإِنَّهُ لَا يقدر على تَحْصِيل ذَلِك لَهُ إِلَّا الله فَهُوَ دَائِما مفتقر إِلَى حَقِيقَة ﴿إياك نعبد وَإِيَّاك نستعين﴾ فَإِنَّهُ لَو أعين على حُصُوله كل مَا يُحِبهُ ويطلبه ويشتهيه ويريده وَلم يحصل لَهُ عبَادَة لله فَلَنْ يحصل إِلَّا على الْأَلَم وَالْحَسْرَة وَالْعَذَاب وَلنْ يخلص من آلام الدُّنْيَا ونكد عيشها إِلَّا بإخلاص الْحبّ لله بِحَيْثُ يكون الله هُوَ غَايَة مُرَاده وَنِهَايَة مَقْصُوده وَهُوَ المحبوب لَهُ بِالْقَصْدِ الأول وكل مَا سواهُ]

الشيخ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحابته والتابعين وبعد.

هذا الكلام الذي يقوله شيخ الإسلام ما كل يدركه ولا يحس به، ومعلوم أن القلب إذا مات فهو كالبدن إذا مات لا يحس بالجراح، لا يحس بالضرب، وإنما يحس بذلك القلب الحي الذي فيه حياة، وإلا فهذا يدرك بالعقل والنظر، وسبر الأحوال، فالله جل وعلا خلق عباده عباد وسماهم عباد، فالعبادة لا تنفك عنهم، ومن عدل الله جل وعلا أن الإنسان العاقل الذي خلق لعبادة الله إذا لم يعبد ربه جل و علا الحق، لابد أن يعبد المظاهر التي حوله، أو المعاني التي تتولد تتعلق به، وهذا معنى كون القلب لا ينفك عن العبادة، فإذا لم يعبد الحق يعبد الباطل، ومن سنة الله جل و علا أيضا، أن الإنسان إذا ازداد خيرا إذا اتجه للخير فإنه يزداد خيرا، والحسنة تجر الحسنة، وبالعكس السيئة تجر السيئة، لهذا نقول: أنه ما كل يحس بهذا الشيء، فقد مثلا يتعلق قلبه بغير الله، مثل ما مضى سواء، الذي يتعلق به معنى من المعاني، أو ذات من ذوات الناس من ذوات الخلق، امرأة أو غيرها، ثم لا يحس بأنه منصرف عن ربه جل وعلا، بل تجده مستأنس بهذا الشيء وراغب فيه، ثم يستمر فيه إلى أن تنتهي حياته، فيتم الشقاء بهذا نسأل الله العافية، فأقول يقول: أن القلب فقير إلى عبادة الله جل وعلا، هو فقير في وضعه وخلقه، ولكن إذا لم يعبد ربه عبد غيره، حتى الملاحدة الذين يقولون: الحياة مادة، وما فيه جنة ولا نار ولا فيه آخرة، و إنما نهاية الإنسان أن

يكون ذرة من ذرات الأرض في التراب، ما ينفكون عن العبادة، إذا لم يعبدوا ذواتهم وشهواتهم، عبدوا رؤسائهم و معظميهم ولابد من ذلك، وهذا نقول: أنه العاقل إذا سبر هذا الشيء وجده حقيقة، وهذا من عدل الله جل وعلا، كونه يعاقب الإنسان بنقيض قصده، فالعبودية ما ينفك الإنسان عنها سواء كانت عبودية حق أو عبودية باطل، ولكن عبودية الباطل تزيد الإنسان بعدا عن الله جل وعلا ثم شقاء في النهاية، أما عبودية الله جل وعلا ففيها نعيم، نعيم في الدنيا، ونعيم في الآخرة، لأن القلب لا يمكن أن يطمئن ويرتاح ويستأنس إلا بعبادة الله، لو أتيته بجميع الملاذ، وإن كانت كثيرا من أحوال الناس أصبحت أحوال بهيمية، يعني يعيشون كما تعيش البهائم، يأنسون بهذا، فلا يحسون بموت ا لقلوب ولا يحسون بالآلام، لأن لكثرة مثلا تغطية الآثام على القلوب والران الذي ران عليها، كما قال الله جل وعلا: ﴿كل بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾، ولهذا كان السلف يقول أحدهم: إذا أذنبت رأيت أثر ذلك في نفسي أو في زوجتي خلق زوجتي أو خلق دابتي أو خلق ولدي، يحس ذلك يجده، ولكن مثلنا لا نحس بكثرة ذنوبنا كما قال المتنبي: وما لجرح بميت إيلام، إذا مات الميت وضربته ووجعته لا يألم، المقصود أن السعادة سعادة القلب وطمأنينته كما قال الله جل وعلا: ﴿ألا بذكر الله تطمين القلوب﴾، وبغير ذلك لا تطمئن أبدا، ما تطمئن القلوب إلا بذكر الله، وذكر الله يشمل العمل والتعلق به، وإتباع ما أمر به جل وعلا، وهذا الذي يعبر عنه بأنه يذوق

حلاوة الإيمان، وبأنه يكون وجد السعادة في الدنيا ووجد الجنة التي يقول ابن تيمية رحمه الله: في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة، يقصد بالجنة التنعم والتلذذ بطاعة الله، ويكون بعض الناس يقول: إن أوامر الشرع تكاليف، وليست تكاليف في الواقع، وإنما هي سعادة، سعادة المرء، ولكن قد لا يحس بها، على كل حال العبودية، عبودية القلب، وهذا يدلنا على أيش؟ يدلنا على أن الأعمال الظاهرة لا تنفك عن أعمال القلوب أبدا، فهي متعلقة بها، الذي يريد أن يفصل بين هذه وهذه، ويقول: إن هناك مثلا أعمال قلبية تركت ونسيت وذهبت، والناس تعلقوا بالأعمال الظاهرة، وبالأمور المشكوفة، إما أنه يغالط في هذا أو أنه لا يفقه، لأنه كما قال لنا رسول الله ﷺ: «في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد»، معنى ذلك هو اللي يدبر الأعضاء كلها، والأعضاء كلها تصدر عن إرادة القلب، وهذه العبارة عن الإرادات و النيات، وقد قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»، والله جل وعلا يقول: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾، والفؤاد المقصود به أعمال القلوب، فهي الأصل في هذا، فالمقصود أن هذه لا تنفك، يعني أعمال البدن لا تنفك عن أعمال القلب، هي تبع له، وإن كان القلب متجها ومتعلقا بربه جل وعلا، فالنية تكون تبع له نعم.

القارئ: [وَمَتى لم يحصل لَهُ هَذَا لم يكـن قـد حقـق حَقِيقَـة (لَا إِلَـه إِلَّا الله) وَلَا حقق التَّوْحِيد والعبودية والمحبة لله وَكَانَ فِيهِ من نقص التَّوْحِيد وَالْإِيمَان بل من الْأَلَم وَالْحَسْرَة وَالْعَذَاب بِحَسب ذَلِك.

وَلَو سعى فِي هَذَا الْمَطْلُوب وَلم يكن مستعينا بِـاللهَّ متـوكلا عَلَيْـهِ مفتقـرا إِلَيْـهِ فِي حُصُوله لم يحصل لَهُ فَإِنَّهُ مَا شَاءَ الله كَانَ وَمَا لم يَشَأْ لم يكن فَهُوَ مفتقر إِلَى الله مـن حَيْثُ هُوَ الْمَطْلُوب المحبوب الْمُرَاد المعبود وَمن حَيْثُ هُوَ الْمَسْئُول الْمُسْتَعَان بِـهِ المتَوَكل عَلَيْهِ فَهُوَ إلهه الَّذِي لَا إِلَه لَهُ غَيره].

الشيخ: يعني هذا في الوضع الذي وضع له الإنسان وخلق عليه، ولكـن يتغـير هذا الشيء الظاهر، ولا يحس به، ولهذا تجد من يجادل عن الباطـل، ويـزعم أنـه هو ينبغي أن يسلك، هل هذا لأن القلب سليم مستقيم والنظـر كـذلك العقـل مستقيم بأن يدرك الأمور على ما هـي؟ أبـدا، لأنهـا تغـيرت، تغـيرت إدراكاتـه ونظراته، بحسب تغير قلبه وما تعلق به، وإلا لو كان مثلا الإنسان يـصبح عـلى ما خلقه الله، ويسير سيرا معتدلا على الخلقـة التـي أرادهـا الله جـل وعـلا لـه، وطبعه عليها، لم يكن للباطل عنده رواج أو أنه عنده محبة، لكن هذه حكمـة الله جل وعلا، قسم الناس بين شقي وسعيد، وزين لكل أمة عملها، يرى أن ما فيه هو الذي نبغي أنه يسلك، وهو على باطل، فإذا مثلا حقق الحقائق وفصل مـا في الصدور، تتبين وتجتمع له الحسرات كلهـا والعـذاب كلـه، وكـما قـال الله جـل

وعلا: أن الخبث يركم بعضهم على بعض ثم يجعل في جهنم، والخبث الذاتي والمعنوي كله يجمع في هذا، والحسرات كلها تجتمع على عابد غير الله جل وعلا، بعد ما تتبين له الأشياء وتعرض عليه أمامه، والمقصود أن هذا لا يظهر في هذه الحياة، إلا لمن كان قلبه سالما من الانحرافات والتعلقات بغير الله جل وعلا نعم.

القارئ: [فَهُوَ إلهه الَّذِي لَا إِلَه لَهُ غَيره وَهُوَ ربه الَّذِي لَا رب لَهُ سواهُ.

وَلَا تتمّ عبوديته لله إِلَّا بِهَذَيْنِ فَمَتَى كَانَ يحب غير الله لذاته أَو يلْتَفت إِلَى غير الله أَنه يُعينهُ كَانَ عبدا لما أحبه وعبدا لما رجاه بِحَسب حبه لَهُ ورجائه إِيَّاه وَإِذا لم يحب أحدا لذاته إِلَّا الله وَأي شَيْء أحبه سواهُ فَإِنَّمَا أحبه لَهُ].

الشيخ: لا يحب شيئا لذاته، لا يحب إلا الله، يعني الشيء الذي يحب لذاته هو الله فقط، ولا يوجد مخلوق من المخلوقات تحب لذاتها، وإنما تحب لما يكون بها من الصفات والمعاني، وإلا الذوات متقاربة، أما رب العالمين جل وعلا إنما يحب لذاته، وهذا الحب يجب أن يكون متميز عن حب المخلوقات الأخرى، وأن يحب الرسول ﷺ لأنه الرسول ولأنه يحب الله، هذه صفات، ما نحبه لأنه لحم ودم، ولهذا يقول الله جل وعلا: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾، يعني هو في البشرية مثلنا، يوحى إلي، فتميز بهذا، الوحي يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد، تميز بهذا، وكذلك الناس كلهم خلقوا من نفس واحدة، وكلهم في خلقهم يعني

أنهم بشر، وأنهم لحم ودم، و لكن تميزوا بالأعمال، تميزهم بالعمل فقط، والعمل سواء كان عمل باطني أو عمل ظاهري، فالمخلوق يحب لما فيه من الصفات، والأعمال التي يعملها، وإنما الذي يحب لذاته هو رب العالمين، وهذا هو التميز في المحبة، والمحبة هذه يجب أيضا في وصفها أن تتميز عن غيرها من المحاب، لأنه حب ذل وخضوع وعبادة، يتضمن الخوف والرجاء، أما إذا كان المحبوب محبوبا لله، فيجب أن يكون تبعا لمحبة الله جل وعلا، ويلزم من هذا أنك إذا كنت تحب الله جل وعلا، وتحب ما يحبه فإنك تكره ما تكره تبغض ما يبغضه ولابد من ذلك، لأن هذا من تمام المحبة.

القارئ: [وَلم يرج قطّ شَيْئا إِلَّا الله وَإِذا فعل مَا فعل من الْأَسْبَاب أَو حصل مَا حصل مِنْهَا كَانَ مشاهدا أَن الله هُوَ الذي خلقهَا وقدرها وسخرها لَهُ وَأَن كل مَا فِي السَّمَاوَات وَالْأَرْض فَالله ربه ومليكه وخالقه ومسخره وَهُوَ مفتقر إِلَيْهِ كَانَ قد حصل لَهُ من تَمام عبوديته لله بِحَسب مَا قسم لَهُ من ذَلِك.

وَالنَّاس فِي هَذَا على دَرَجَات مُتَفَاوِتَة لَا يحصي طرقها إِلَّا الله.

فأكمل الْخلق وأفضلهم وَأَعْلَاهُمْ وأقربهم إِلَى الله وَأَقْوَاهُمْ وأهداهم أتمهم عبودية لله من هَذَا الْوَجْه.

وَهَذَا هُوَ حَقِيقَة دين الْإِسْلَام الَّذِي أرسل الله بِهِ رسله وَأنزل بِهِ كتبه وَهُوَ أَن يستسلم العَبْد لله لَا لغيره فالمستسلم لَهُ وَلغيره مُشْرك والممتنع عَن الاستسلام لَهُ مستكبر. وَقد ثَبت فِي " الصَّحِيح " عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: أَن « الْجنَّة لَا يدخلهَا من كَانَ فِي قلبه مِثْقَال ذرة من كبر ». كَمَا أَن النَّار لَا يخلد فِيهَا من كَانَ فِي قلبه مِثْقَال ذرة من إِيمَان].

الشيخ:المقصود بالكبر الإباء، يعني الإباء والامتناع عن أمر الله ﷻ، يتكبر عن عبادة الله وعلى طاعته، كما فعل الشيطان لما أنه أمر بالسجود استكبر وأبى، فهذا الذي لا يدخل الجنة، من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، الكبر الذي هو الترفع على جنسه وعلى بني جنسه، فهذا من الكبائر التي لا تجعل الإنسان خالدا في النار، أو خارج من الدين الإسلامي نعم.

القارئ: [فَجعل الْكبر مُقَابلا للْإِيمَان؛ فَإِن الْكبر يُنَافِي حَقِيقَة الْعُبُودِيَّة كَمَا ثَبت فِي " الصَّحِيح " عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه قَالَ: « يَقُول الله: العظمة إِزَارِي والكبرياء رِدَائي فَمن نازعنى وَاحِدًا مِنْهُمَا عَذبته »].

الشيخ: فهذه من صفات الله ﷻ التي ينفرد بها عن خلقه، الكبر والعظمة، والمخلوق لا يجوز أن يكون منازعا لربه طالبا واحدة منها، فإنه إذا فعل ذلك فقد خرج عن العبودية، وخرج عما خلق له، لأن العبد من صفة العبد أن يكون ذليلا خاضعا، والذل يجب أن يكون للمعبود فقط، ما يكون لنظيره، إلا

أن يكون خارجا عن مقدوره، كأن يقهر ويرغم على ذلك، وإذا قهر وأرغم بالقوة، لابد أن يكون قلبه نافرا عن هذا الشيء، فإذا ذل لمخلوق تجد قلبه يلعنه ويبغضه أشد البغض، فمثل هذا لا يكون عبادة، ولا يكون مؤاخذ على ذلك، ولكن الكبر الذي هو صفة الله، وكذلك العظمة التي هي صفة الله، ما ينازع فيها إلا من يترفع عن عبادة الله جل وعلا، وعن الخضوع له والذل له، وهذا ليس من صفات العبد، من صفات العبد أن يكون عابدا، والعبد يطيع سيده ويخضع له ويذل له، ولهذا يعذب الله جل وعلا من خرج عن هذا الوصف، نعم.

القارئ: [فالعظمة والكبرياء من خَصَائِص الربوبية والكبرياء أَعلَى من العظمة وَلِهَذَا جعلهَا بِمَنْزِلَة الرِّدَاء كَمَا جعل العظمة بِمَنْزِلَة الْإِزَار].

الشيخ: هذا ما هو معناه أن الله جل وعلا له رداء وإزار، ولكن هذا تمثيل للعباد حتى يفهموا ذلك نعم.

القارئ: [وَلِهَذَا كَانَ شعار الصَّلَاة وَالْأَذَان والأعياد هُوَ التَّكْبِير وَكَانَ مُسْتَحبا فِي الْأَمْكِنَة الْعَالِيَة كالصفا والمروة وَإِذا علا الْإِنْسَان شرفا أَو ركب دَابَّة وَنَحْو ذَلِك وَبِه يطفأ الْحَرِيق وَإِن عظم وَعند الْأَذَان يهرب الشَّيْطَان].

الشيخ: هذا إن صدر من أهل الإيمان الذين يعرفون هذه الحقائق، أنه الذي مثلا يطلب العلو مثل النار، النار تطلب العلو والارتفاع، تطفأ بالتكبير، لأن الله فوق كل شيء، وأكبر من كل شيء، وهذا قد جرب، لكن لا يلزم أنه من كل أحد، وكذلك يعني التكبير عند المرتفعات، اعلم أن المرتفع فوقه من رفعه، والله أرفع من كل شيء وأعظم من كل شيء، ولهذا شرع ما يقابله من التسبيح، إذا هبط الإنسان في سفر يقول: سبحان الله، يعني سبحان الله أن يكون منخفضا أو في مكان منخفض كما سبق الإشارة إلى هذا نعم.

القارئ: [قَالَ تَعَالَى [٦٠ غَافِر] : ﴿وَقَالَ ربكُم ادْعُونِى أَسْتَجِب لكم إِن الَّذين يَسْتَكْبِرُونَ عَن عبادتى سيدخلون جَهَنَّم داخرين﴾] .

الشيخ: داخرين، يعني ذليلين حقيرين، داخر يعني حقير ذال، فالذين يستكبرون عن عبادة الله جل وعلا، يكون هذا جزاؤهم، يدخلون جهنم وهم أذى من الذر، ولهذا المتكبرون يوم القيامة يكونون يحشرون أمثال الذر يطؤهم الناس بأقدامهم، هذا من أول العذاب الذي يصيبهم في الموقف، والجزاء يكون من جنس العمل، يعني مقابل ما كانوا يترفعون عل عباد الله ويتكبرون عليهم، ظهر ذلهم ظاهرا يشاهده أهل الموقف كلهم، نعم.

القارئ: [وكل من استكبر عَن عبَادَة الله لَا بُد أَن يعبد غَيره فَإِن الْإِنْسَان حساس يَتَحَرَّك بالإرادة وَقد].

الشيخ: حساس ما معنى حساس؟ يعني عنده الإحساس، ويتحرك بالإرادة، يعني عنده إرادة ومقدرة، والإحساس عبارة عن المقدرة التي يتصرف فيها، والإرادة عبارة عن القلب والإرادات والأمور التي تصدر من قلبه وتتحكم بجوارحه، نعم.

القارئ: [وَقد ثَبت فِي " الصَّحِيح " عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه قَالَ: « أصدق الْأَسْمَاء حَارِث وَهَمَّام»].

الشيخ: يعني هذا بالنسبة للإنسان، الإنسان همام، يعني عنده الهم، وهو حارث يعني عامل يعمل، فالحرث عبارة عن العمل، والهم عبارة عن الإرادات، والهم لا يحصل إلا بالإرادة نعم، وأصدق الأسماء، يعني التي توافق وضع الإنسان، وأفضلها وخيرها ما عبد أو حمد، عبد الله وعبد الرحمن وعبد العزيز وهكذا، لأنه عبد في الحقيقة نعم.

القارئ: [فالحارث الكاسب الْفَاعِل والهمام فعال من الْهم والهم أول الْإِرَادَة فالإنسان لَهُ إِرَادَة دَائِما وكل إِرَادَة فَلَا بُد لَهَا من مُرَاد تنتهي].

الشيخ: كل إرادة هذا على مذهب أهل السنة، أن كل فعل له إرادة، خلاف ما يقوله الأشاعرة، الإرادة في الأمور كلها واحدة، وهو يتكلم الآن بإرادة المخلوق، وهم يتكلمون في هذا يعني بإرادة الله جل وعلا، يقولون: إن كل

مراد لله له إرادة، ولكن إذا حقق الأمر أصبحوا يرجعون الأمور كلها إلى شيء واحد، فالمقصود أن هذا الشيء المدرك بالنسبة للمخلوق، أنه إذا تجدد له هم وإرادة تجدد له الفعل، وهذا يختلف باختلاف ما يحدث له، سواء الذي يحدث من الإرادات القلبية العبادات كلها قلبية، ويتبعها الفعل الذي يريد به وصول هذا الشيء الذي أراده، المقصود هذا تبعا له، وهذا شيء يدرك ومشاهد، وبهذا يعلم الإنسان أنه لا داعي إلى أن ينطق بالإرادة، ويقول: أنا أردت شيء أردت أن أفعل كذا وكذا، لأن الذي بعثه على هذا الفعل، هو الإرادة، ومثلا يأتي الإنسان إلى المسجد، فإذا وقف في الصف قال: اللهم إني أريد أن أصلي صلاة كذا وكذا، هذا عبث، لأن الذي أثاره للوضوء ثم جاء به إلى المسجد هي الإرادة، فهل مثلا يعلم ربه بأنه يريد أن يفعل كذا وكذا؟ الله علام الغيوب يعلم ما في قلبه، المقصود أن هذا من الأمور التي تدل على أنه لم يتصور الإرادة ما هي، لأن الإرادة هي التي بعثته على العمل، نعم.

القارئ: [فَلَا بُد لكل عبد من مُرَاد مَحْبُوب هُوَ مُنْتَهى حبه وإرادته فَمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وإرادته بل استكبر عَن ذَلِك].

الشيخ: هذا إذا كان الله جل وعلا أراد به السعادة، فلابد له أن تكون إرادته ومحبوبه هو الغاية التي هي حب الله الحب الذي يقتضي العبادة والذل لله جل وعلا، يعني حب التأله، وليس الحب الذي يكون للمخلوق، أو يكون لأجل

انتفاع بشيء، فهذا حب عبادة لا يمكن أن ينتهي، ولا يمكن أن يشاركه فيه غيره، فهذا الذي تحصل به السعادة، ثم كل مراداته وكل تصرفاته يجب أن تكون تبعا لهذا، والناس يتفاوتون في هذا تفاوت عظيم، منهم من يأخذ نصيب كبير، ومنهم من يكون غافلا عن ذلك، ولكنه إذا تحققت الأمور، تبين له أن هذا المراد، وأنه يكون عنده سهو وغفلة وعنده، ولهذا يحصل له شذوذ ويحصل له انحراف عن هذا المقصود، ولا يتنبه لهذا إلا إذا جاءه ما ينبهه، إما أن يقع في شدة، أو يقع في حاجة شديدة تلفته إلى هذا الشيء، وهذا قد يكون من سعادته ومن فضل الله عليه نعم.

القارئ: [فَلَا بُد أَن لَهُ مُرَاد مَحْبُوب يستعبده غير الله فَيكون عبدا لـذَلِك الْمُرَاد المحبوب إِمَّا الْمَال وَإِمَّا الجاه وَإِمَّا الصُّور وَإِمَّا مَا يَتَّخِذهُ إِلَهًا من دون الله كَالشَّمْسِ وَالْقَمَر وَالْكَوَاكِب والأوثان وقبور الْأَنْبِيَاء وَالصَّالِحِينَ أَو من الْمَلَائِكَة والأنبياء الَّذين يتخذهم أَرْبَابًا أَو غير ذَلِك مِمَّا عبد من دون الله].

الشيخ: يعني عبادة غير الله ملأت الأرض قديما وحديثا، والناس فيها يختلفون، منهم من تكون عبادته جزئية، يعني بهذه الأشياء ويكون عنده شرك، ومنهم من تكون عبادته كلية لهذا، ويكون منصرفا عن عبادة الله، والله جل وعلا لا يقبل الشرك في ذلك، إذا حصل العبادة اشتراك بين الله جل وعلا وبين الخلق، فسدت العبادة، فالعبادات الشرعية هي التوحيد، التوحيد أن تكون العبادة

لواحد فقط لله تعالى، ولهذا أخبر الله جل وعلا في سورة الكافرون قوله: ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾، هل كانوا لا يعبدون الله؟ كانوا يعبدون الله، ولكن يعبدون معه غيره، لما كانوا يعبدون معه غيره، صارت عبادتهم كأنها لا وجود لها، لأن الله لا يقبل الاشتراك في العبادة، وهذا جاء عن ابن عباس يقول: كل عبادة في القرآن يقصد بها التوحيد، يعني أن تكون لله وحده لا اشتراك فيها، وإلا إذا وجد الاشتراك فالعبادة باطلة، والله جل وعلا لا يقبل الشرك، فلابد من الإخلاص في العبادة، وهو شرط كما سبق، شرط في قبول العمل واعتبار العبادة، عبادة، فلا تسمى العبادة عبادة في الشرع، إلا إذا كانت خالصة، أما في اللغة فتسمى عبادة، ولكن الشرع غير مقبولة وغير معتبرة، لأن العبادة في اللغة من الذل والخضوع، كونه ذل وخضع لشيء معناه أنه عبده، نعم.

القارئ: [وَإِذا كَانَ عبدا لغير الله يكون مُشْركًا وكل مستكبر فَهُوَ مُشْرك وَلِهَذَا كَانَ فِرْعَوْن من أعظم الْخلق استكبارا عَن عبَادَة الله].

الشيخ: كما سبق كل مستكبر، أي عن العبادة، إذا استكبر عن عبادة الله فهو مشرك، ولابد، ولو إشراك نفسه، كيف تكون نفسه شريكة لله؟ نقول: نعم، مثل ما قال الله جل وعلا: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾، بمعنى أنه صار هواه مقدم أو أنه معتبر مع طاعة الله وإتباع رسوله ﷺ، إن كان بعض المفسرين

يقول: إلهه هواه، أنه إذا هوي شيئا فعله بدون مبالاة، من الحرام ولا الممنوع، فلا يمنعه نهي الله أن يفعل المحرم، ولا يمنعه أمر الله أن يفعل ما أمره الله جل وعلا به، فهو مقدم مراداته على مراد الله جل وعلا، فهذا عبد هواه، وهذا كثير جدا في الناس، ولكن منهم مستكثر ومستقل، نعم.

القارئ: [قَالَ تَعَالَى [٢٣-٣٥ غَافِر] : ﴿وَلَقَد أرسلنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وسلطان مُبين إِلَى فِرْعَوْن وهامان وَقَارُون فَقَالُوا سَاحر كَذَّاب﴾ إِلَى قَوْله: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عذت بربى وربكم من كل متكبر لَا يُؤمن بِيَوْم الْحساب﴾].

الشيخ: هذه صفة فرعون، أنه تكبر وتجبر وقال: ما علمت لكم من إله غيري، يقول يخاطب الناس، وإن كان هذا كذب، ما فيه أحد عنده عقل، إلا ويعلم أن ربه الله، لكن عند الغطرسة وقلب الحقائق، وكذلك والاستعلاء بالكبر وبالظلم و العدوان قد يخضع الإنسان لمن هذه صفته، إما طمع أو خوف، والطمع يكون لمن له مصالح، كالوزراء والكبراء الذين يكون معه، هم يقولون بقوله، بل هم يبحثون عن الأمور التي تصلح له، مثل ما قال أقرباء فرعون ووزرائه: ﴿أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك﴾، هكذا قالوا يقترحون لفرعون هذا الشيء قبل أن يقولوا له، فإنهم رأوا أن هذا الشيء يجوز ويصلح له، قالوا: هكذا هذه سنة، الناس كلهم بهذه الصفة، إذا رأوا مثلا الرئيس والكبير الذي له نهج، صاروا يبحثون عن الذي يصلح له ويأتون به،

ولا موسى يفسد في الأرض وفرعون يصلح؟ لولا أن الأنظار انقلبت والأمور والحقائق قلبت، والكذب الظاهر هو الذي يطرح في مثل هذا نعم.

القارئ: [إِلَى قَوْله: ﴿كَذَلِك يطبع الله على كل قلب متكبر جبَّار﴾].

الشيخ: يعني هذا يطبع، الطبع معناه أنه لا يدخله الخير ولا يدخله الإيمان، طبع عليه، والطبع أضيف إلى الله ﷻ في هذا: ﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾، كما يعني فعل يعاقب بنظير ذلك، نعم.

القارئ: [. وَقَالَ تَعَالَى [٣٩ العنكبوت] : ﴿وَقَارُون وَفرْعَوْن وهامان وَلَقَد جَاءَهُم مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فاستكبروا فِي الأَرْض وَمَا كَانُوا سابقين﴾ . وَقَالَ تَعَالَى [٤ الْقَصَص] : ﴿إِن فِرْعَوْن علا فِي الأَرْض وَجعل أَهلهَا شيعًا يستضعف طَائِفَة مِنْهُم يذبح أَبْنَاءَهُم ويستحيى نِسَاءَهُمْ﴾ . وَقَالَ [١٤ النَّمْل] : ﴿وجحدوا بهَا واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فَانْظُر كَيفَ كَانَ عَاقِبَة المفسدين﴾].

الشيخ: هو يذبح الذكور ويترك الإناث، ولما شكا إليه قومه أن يوشك ألا نجد عمالا، لأنهم يستعبدون بني إسرائيل استعباد البهائم، ويوسعونهم ضربا، ويسخرونهم بالسياط التي تلهب الظهور في العمل، قال له قومه: ما دام أنك تقتل الأولاد، ممكن يموت الكبار فلا نجد عمالا، اقترحوا عليه أنه يقتلهم سنة ويبقيهم السنة الثانية للعمل، لا لأجل أنه نظر إليهم أنهم أوادم أو أنه، السبب

في هذا أنهم قيل له: قالت له كهنته وأتباعه ومن يزين لـه الباطـل: إننـا نجـد أن زوال ملكك على يد رجل من بني إسرائيل، كيف حكمة الله جل وعلا؟ فـصار يقتل الأولاد، ويترك النسوة، فولد هارون في السنة التي لا يقتـل فيهـا الأولاد، وولد موسى في السنة التي يقتل فيهـا الأولاد، مـن الحكمـة التـي أوحـى جـل وعلا لأمه أنها إذا خافـت عليـه، لأنهـا ولدتـه وأخفتـه، فـإذا خافـت عليـه أن ينكشف أن تجعله في تابوت، يعني صندوق من الخشب، وتلقيه في النيل، ترمـه في النيل، ذهب حاشية فرعون ببيته يتفترجون على نهر النيل وجدوا هذه الخشبة تعوم على جانب النيل فأخذوها فتحوها وجدوا الصبي، قال فرعـون: اقتلـوا، قالت امرأته: قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا، فـصار قـرة عـين لهـا، لأنه جاء في التفسير أنه لما قالت هذا قـال: لـك قـرة عـين لـك وأنـا لا، ولكـن الحكمة أنه عاش في بيت فرعون يأكل من طعامه ويعيش معه، حتى لما اشتد بـه يعني وكبر وصار لأن من حكمة الله جل وعلا أن يتولى الرعـي الرسـول رعـي الغنم قبل أن يرعى بني آدم، حدثت الحادثـة التـي وجـد إسرائيليـا مـع قبطـي يتخاصمان، فاستغاثه الإسرائيلي فضربه بيده ما أراد أن يقتله، ولكن موسى كان عنده قوة في بدنه فضربه فقضى عليه، صارت الضربة باليد مات منهـا، ثـم مـن الغد وجد هذا الرجل العظة في خصام مع آخـر، قـال لـه موسـى: إنـك شـقي وإنك لا تريد إلا الشقاوة وتريد المخاصمات، فخاف أنه يضربه ويقتله مثـل مـا قتل الرجل الآخر، فقال: أتريد أن تقتلنـي كـما قتلـت نفـسا بـالأمس، فـسمع

الناس ذلك وكانوا يبحثون عمن قتل الرجل السابق، فجاءه الرجل الذي ذكر الله أنه جاء يسعى، وقال: إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين، فخرج فإذا به ندم وبقي يرعى الغنم كما ذكره الله ثم أتاهم مرسلا من الله عز وجل، كل هذه حكمة، شوف كيف يعني الشيء الذي خافه فرعون مع فعله وخبثه وحرصه، خافه تربى في بيته فصار عدوا له وحزنا، كما قال الله ﷻ: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا﴾، هذه اللام لام العاقبة نعم.

القارئ: [وَقَالَ تَعَالَى [٤ الْقَصَص] : ﴿إِن فِرْعَوْن علا فِى الأَرْض وَجعل أَهلهَا شيعًا يستضعف طَايِفَة مِنْهُم يذبح أَبْنَاءَهُم ويستحيى نِسَاءَهُمْ﴾].

الشيخ: جعل أهلها شيعا، يعني جعلهم فرقا، فرقة تواليه وتناصره وتكون مقربة لديه، وفرقة يعاديها ويجعلها تحت أوامره وشاقية في أعماله التي يعملها، هذا كيف يعني صنعوا بعباد الله، لهذا لما قال فرعون لموسى: ﴿ألم نربيك فينا وليدا﴾، يعني ربيناك وأنت صغير في بيتنا، فقال له موسى: ﴿تلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى إسرايِيل﴾، ومعنى عبدت بني إسرائيل أي جعلتهم كلهم عبيدا لك، تمن علي بنعمة واحدة برجل واحد أنعمت عليه، مقابل أنك أمة كاملة جعلتها عبيدا لك، وتذكر هذه وتنسى هذا نعم.

القارئ: [. وَقَالَ [١٤ النَّمْل] : ﴿وجحدوا بهَا واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فَانْظُر كَيفَ كَانَ عَاقِبَة المفسدين﴾].

الشيخ: يعني أنهم استيقنوا أن موسى رسول من عند الله، وأن هذه الآيات التي جاء بها آيات من الله، لا يمكن لبشر من الناس أن يأتي بمثلها، عصا مأخوذة من الشجر عادية يأخذها بيده، ثم إذا ألقاها صارت حية عظيمة تلتهم كل ما أمامها ولا تتغير، هي عصا تماما، ولهذا لما جاء السحرة جاءوا بالحبال والعصي الذي ملئوه بالزئبق وغيره والحيل، فصار واد كله يسعى حيات في منظر العين قال الله جل وعلا له: ﴿وأوحينا إلى موسى أن ألق ما في يمينك تلقف ما يؤفكون﴾، فالتقمت كل هذه الحيات وهي ما تغيرت عصا، هل هذا بمقدور أحد من البشر ساحر أو غيره؟ ولهذا السحرة الذين يعرفون السحر، عرفوا أن هذا حق وأنها آية، فسجدوا لله، خاضعين مؤمنين بالله جل وعلا، نعم.

القارئ: [وَمثل هَذَا فِي الْقُرْآن كثير.

وَقد وصف فِرْعَوْن بالشرك فِي قَوْله [١٢٧ الْأَعْرَاف] : ﴿وَقَالَ الْمَلأ من قوم فِرْعَوْن أتذر مُوسَى وَقَومه ليفسدوا فِى الأَرْض ويذرك وآلهتك﴾ بل الاستقراء]

الشيخ: الاستقراء معناه التتبع، استقراء الشيء أن تتبعه وتسبره حتى تجد الحقيقة، نعم، الاستقراء يدل على أن كلما كان الرجل أعظم استكبارا عن عبادة الله كان أعظم شركا، وأعظم الشرك شرك فرعون، الذي يقول: أنا إلهكم أنا معبودكم، ما علمت لكم من إله غيري، فيموه على الناس، وهو يعلم حقيقة قلبه يعلم أنه كاذب، مثل ما يذكر عن عمرو بن العاص أنه قال لمسيلمة لما ذكر له شيئا من قرآنه الكذب الهرع الذي لا ينطلي على عاقل، وهو مشرك، يعني قبل أن يسلم عمرو بن العاص، قال أنه كان صديقا له في الجاهلية، جاء إليه بعد ما تنبأ فقال له: ما أنزل على صاحبك فقالوا له: أنزلت عليه سورة وجيزة عظيمة، قال: ما هي؟ قال: ﴿والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾، قال: ففكر ثم قال: أنا أنزل علي مثلها، قال: ما هي؟ قال: يا وبر يا وبر، إنما أنت أذن وصدر أو قال: رأس وصدر، وباقيك حقر نقر، ماذا تقول يا عمرو؟ قال: إنك لتعلم أني أعلم أنك كاذب، هذا ما يحتاج إلى تفكير ولا يحتاج، أنت نفسك تعلم أني أعلم أنك كاذب، هذه خزعبلات، وأرى يعني تباري به كلام الله جل وعلا، هذا عند المشركين، فكيف عند يؤمن بالله ويؤمن بكتابه، ففرعون كلهم يعلمون في قرارة أنفسهم وهو يعلم أنه كاذب، يعلم حقا أنه كاذب، ولهذا لما رأى وعاين الموت وأدركه الموت قال: ﴿آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرايل وأنا من المسلمين﴾، فقيل له: الآن، الآن ما ينفعك، لو كان قبل، أما الآن وقد

انقطعت حياتك وعند الموت لا يفيدك الرجوع والإقرار، لهذا كما قال الرسول ﷺ: «تقبل توبة العبد ما لم يعاين»، يعني يعاين الملائكة وخلاص تنتهي حياته، فإذا عاين وانتهت يعني حياته خلاص ما يقبل منه توبة ولا رجوع، نعم.

القارئ: [بل الاستقراء يدل على أَنه كلما كَانَ الرجل أعظم استكبارا عَن عبَادَة الله كَانَ أعظم إشراكا بِاللَّهِ لِأَنَّهُ كلما استكبر عَن عبَادَة الله ازْدَادَ فقرا وحاجة إِلَى الْمُرَاد المحبوب الَّذِي هُوَ الْمَقْصُود مَقْصُود الْقلب بِالْقَصْدِ الأول فَيكون مُشْركًا بِمَا استعبده من ذَلِك.

وَلنْ يَسْتَغْنِي الْقلب عَن جَمِيع الْمَخْلُوقَات إِلَّا بِأَن يكون الله هُوَ مَوْلَاهُ الَّذِي لَا يعبد إِلَّا إِيَّاه وَلَا يَسْتَعِين إِلَّا بِهِ وَلَا يتوكل إِلَّا عَلَيْهِ وَلَا يفرح إِلَّا بِمَا يُحِبهُ ويرضاه وَلَا يكره إِلَّا مَا يبغضه الرب ويكرهه وَلَا يوالى إِلَّا من وَالَاهُ الله وَلَا يعادي إِلَّا من عَادَاهُ الله وَلَا يحب إِلَّا لله وَلَا يبغض شَيْئا إِلَّا لله].

الشيخ: هذا يحصل لبعض عباد الله، لا لكل مسلم وكل مؤمن، لأن الإيمان يتفاوت تفاوت عظيم، الإنسان يكمل عنده الإيمان ويكون بهذه الصفة، وإنسان يعتريه ما يعتريه من النقص، فليس معنى ذلك أنه إذا اعتراه النقص أنه يكون مؤمن، ولكن ما يدرك الدرجات العليا، ولا يصل إلى حقائق الإيمان التي وصل إليها الكمل من عباده، فتأمل مثلا حارث رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة ذات الرقاع، وصار في مكان يريد النوم، يبيتون فيه، قال ﷺ: «من يحرسنا

هذه الليلة»، فتبرع رجل من الأنصار ورجل من المهاجرين، وقال لهم: كونوا في هذا المكان، وعين لهم مكان ﷺ، مكان معين في هذا الشعب، لما صاروا فيه قال أحدهم للآخر: ما الداعي إلى أن كلانا يبقى متيقظا، أما أن تكفيني أول الليل وأكفيك آخره، أو تكفيني آخره وأكفيك أوله، قال: بل اكفني أوله، يقول المهاجري وأكفيك آخره، فقام يصلي، ما يتركون هم الأمر يقول: ينظر ينتظر كذا، يحرس ويصلي، ما يذهب عليهم وقت بدون عبادة، فقام يصلي، فجاء مشرك قد أصيبت زوجته، وأقسم لا يرجع حتى يصيب في أصحاب محمد دم، فجاء وشاهد الرجل يصلي فأطلق عليه السهم، فالسهم وقع في بدنه، فاستمر يصلي أزاله واستمر يصلي، ثم أطلق السهم الثاني، فأزاله واستمر يقرأ، والثالث لما ضربه الثالث، أيقظ صاحبه، لما استيقظ صاحبه وجد الدم يسيل، قال: سبحان الله لماذا ما أيقظتني من أول الأمر؟ قال: والله لولا أني خفت أن أضيع ثغرا أمرني به رسول الله ﷺ لم أوقظك، لأني كنت في آية كرهت أن أقطعها قبل أن أنهها، كيف يعني هذا؟ تحمل الألم والضرب والدماء الذي يسيل لوجود لذة الخطاب، تلاوة الآيات، يقول: ما أردت أن أقطعها قبل أن أنتهي منها، فمثل هذا هل يقارن بمن مثلا يقرأ القرآن مجرد تلاوة فقط، بدون أن تصل المعاني إلى قلبه؟ وبين هذا وهذا تفاوت، وبينهما أيضا أعمال كثيرة، الناس درجات، ولهذا السبب صارت الجنة درجات متفاوته، وكل يسكن الدرجة التي تناسب عمله وإيمانه، كلما كان الإيمان أقوى وأتم، صار العمل كذلك تبعا لذلك، والمنزلة

هكذا، والله عليم حكيم، فاوت بين عباده بهذه الأشياء، فالمقصود أنه الذي لا يستغني عن ربه جل وعلا طرفة عين ولا يلذ، تلذ حياته إلا بعبادته والركون إليه والتوكل عليه والاستعانة به هذا المؤمن الكامل، وإلا كثيرا من المؤمنين ربط هذه المعاني في ربطها إما أعمال تؤثر على إيمانه، من محاب الدنيا وغيرها وقد لا تظهر، أو ذنوب، ذنوب أيضا تتراكم وتكون مثلا مانعة حائلة بينه وبين أن يصل إلى مثل هذه الحال نعم.

القارئ: [فَكلما قوي إخلاص دينه لله كملت عبوديته لله واستغناؤه عَن الْمَخْلُوقَات وبكمال عبوديته لله تكمل تبرئته من الْكبر والشرك.

والشرك غَالب على النَّصَارَى وَالْكبر غَالب على الْيَهُود].

الشيخ: الشرك غالب على النصارى، لأن النصارى جهلة يعبدون بلا علم، أما اليهود فعندهم الكبر، هم علماء عندهم علم، ولكن عندهم إباء وتكبر وعدم انقياد للحق، هذا الغالب وهذه الأمة فيها هذه الصفة، لأننا أخبرنا من قبل نبينا ﷺ أننا نتبع من سبقنا من الأمم، فقيل له: اليهود والنصارى؟ قال: «نعم أو قال: فمن »، نعم.

القارئ: [قَالَ تَعَالَى فِي النَّصَارَى [٣١ التَّوْبَة] : ﴿اتَّخذُوا أَحْبَارهم وَرُهْبَانهمْ أَرْبَابًا من دون الله والمسيح ابْن مَرْيَم وَمَا أمروا إِلَّا ليعبدوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَه إِلَّا

هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يشركُونَ﴾ وَقَالَ فِي الْيَهُود [٨٧ الْبَقَرَة] : ﴿أفكلما جَاءَكُم رَسُول بِمَا لَا تهوى أَنفسكُم استكبرتم ففريقا كَذبْتُمْ وفريقا تقتلون﴾].

الشيخ: الأحبار هم العلماء، مأخوذ من الحبر، لأن أصل العلم بالكتابة، كما قال الله جل وعلا: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق ن خلق الإنسان من علق ن اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم﴾، أصل التعليم بالقلم بالكتابة، وسمي حبرا، لأن أصل علمه وصوله إلى معلوماته بالحبر الذي هو مادة الكتابة، فأخذ من هذا، أما الرهبان فهم العباد من الرهبنة وهي الذل والعبادة لله جل وعلا، والغالب أن الرهبان في النصارى والأحبار في اليهود، هذا هو الغالب، عندهم علم ولكنهم أهل كبر وعناد، والنصارى فهم أهل تعبد ولكنه تعبد بجهل نعم.

القارئ: [وَقَالَ تَعَالَى [١٤٦ الْأَعْرَاف] : ﴿سأصرف عَن آياتى الَّذين يتكبرون فِى الأَرْض بِغَيْر الْحق وَإِن يروا كل آيَة لَا يُؤمنُوا بهَا وَإِن يروا سَبِيل الرشد لَا يتخذوه سَبِيلا وَإِن يروا سَبِيل الغى يتخذوه سَبِيلا﴾] .

الشيخ: وهذا دليل على أن الإنسان يفعل ذلك باختياره ومقدوره، يعني يرى الحق حقا ويعرف أنه حق ولا يتبعه ولا يريده، ويرى الباطل أنه باطل ويريده ويتبعه ويحبه، فالله جعل للإنسان إرادة، ويتبع الإرادة القدرة، فإذا وجدت

الإرادة والقدرة لابد أن يوجد المراد، بهذا يتبين أن الإنسان مخلوق وعمله مخلوق، لأن الإرادة والقدرة مخلوقتان لله جل وعلا، غير أن الاختيار جعل للإنسان، يعني جعل له قدرة خلقها الله فيه، وإرادة خلقها الله فيه، ثم قيل له: هذا طريق الخير وهذا طريق الشر، فإن فعلت الخير جزيت أفضل منه، وإن فعلت الشر جزيت به والأمر إليك، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، هذا بعد الإيمان وبعد مجيء الرسول، وبعد إقامة الحجج وإظهار البينات، فبهذا استحق الإنسان إما ثواب أو عقاب، ليس كما يقول أهل الضلال، ينقسموا في هذا إلى قسمين، قسمين متقابلين تماما، قسم قالوا: إن الأمر كله للإنسان هو الذي يخلق فعله وهو الذي يكفر ويؤمن بدون أن يكون لله عليه منة أو فضل، وقسم قالوا: إن الإنسان بمنزلة الآلة التي تدار، فإذا نظرنا إلى هذين القولين، على الأقل أن نقول أحدهما باطل على الأقل، وإلا فالواقع كلاهما باطل على الإطلاق، فإن كان يعني ما فيه منهما قول من الأقوال الباطلة، إلا وقد يشتمل على شيء من الحق نعم.

القارئ: [وَلما كَانَ الْكبر مستلزما للشرك والشرك ضد الْإِسْلَام وَهُوَ الذَّنب الَّذِي لَا يغفره الله قَالَ تَعَالَى [٤٨ النِّسَاء] : ﴿إِن الله لَا يغْفر أَن يُشْرك بِهِ وَيغْفر مَا دون ذَلِك لمن يَشَاء وَمن يُشْرك بِاللَّه فقد افترى إِثْمًا عَظِيما﴾ وَقَالَ [١١٦ النِّسَاء] : ﴿إِن الله لَا يغْفر أَن يُشْرك بِهِ وَيغْفر مَا دون ذَلِك لمن يَشَاء وَمن

يُشْرك بِاللَّه فقد ضل ضلالا بَعيدا ﴾ كَانَ الْأَنْبِيَاء جَمِيعهم مبعوثين بدين الْإِسْلَام فَهُوَ الدَّين الَّذِي لَا يقبل الله غَيره لَا من الْأَوَّلين وَلَا من الآخرين].

الشيخ: الإسلام معناه الإسلام لله، الاستسلام لله بالطاعة والانقياد له، هذا الدين الذي بعثت به الرسل، وأما كونهم مثلا دينهم واحد، يعني شرائعهم مختلفة، أما أصل الدين الذي هو عبادة الله فلا يختلف، كل الرسول جاءوا به، أن اعبدوا الله، ما فيه رسول يقول: اعبدوا الله واعبدوا جبريل، أو اعبدوا فلان وفلان أبدا، من أول الخليقة إلى أن تنتهي، الدين واحد من ناحية العبادة، أما من جهة الأوامر والشرائع، فهي قد تختلف، الله له أن يحكم بما يشاء، وله أن يثبت ما يشاء ويمحوا ما يشاء، أما الأوامر التي قد يكون فيها شيء من الزيادة على قوم، فهذه الأمة خفف عنها كثيرا، و لهذا جاء قول الرسول ﷺ، إن هذه الملة يعني حنيفية في العبادة والدين نحو هذا الكلام، وسمحة في العمل سهلة، قال الله جل وعلا: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾، وهذا يقوله عندما يشرع الشرائع، ذكر هذا في الصوم، وذكر أن المريض والمسافر أنه خفف عنهما، وأنها يعني لها أن يفطرا ويصوما أياما أخرى ليست من رمضان، وكذلك عند النكاح، أنه يجوز للإنسان إن لم يجد الطول للحرة، يجوز أن يتزوج الأمة، ثم في النهاية قال: ﴿يريد الله ليبين لكم﴾، قال: ﴿يريد الله أن يهديكم سنن الذين من قبلكم﴾، فهذه إرادة دينية شرعية، يعني فيها التيسير

والتسهيل، وليست هذه الإرادة تشمل غير المسلمين، بل لمن قبل الدين فقط، ومن هنا قال العلماء: أن إرادة الله تنقسم إلى قسمين: إرادة كونية قدرية، وإرادة دينية عملية شرعية نعم.

القارئ: [قَالَ نوح [٧٢ يُونُس] : ﴿فَإِن توليتم فَمَا سألتكم من أجر إِن أجرى إِلَّا على الله وَأمرت أَن أكون من الْمُسلمين﴾ وَقَالَ فِي حق إِبْرَاهِيم [١٣٠-١٣٢ الْبَقَرَة] : ﴿وَمن يرغب عَن مِلَّة إِبْرَاهِيم إِلَّا من سفه نَفسه وَلَقَد اصطفيناه فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَة لمن الصَّالِحين ۝ إِذْ قَالَ لَهُ ربه أسلم قَالَ أسلمت لرب الْعَالمين﴾ إِلَى قَوْله: ﴿فَلَا تموتن إِلَّا وَأَنْتُم مُسلمُونَ﴾ وَقَالَ يُوسُف [١٠١ يُوسُف] : ﴿توفنى مُسلما وألحقنى بالصالحين﴾ وَقَالَ مُوسَى [٨٤-٨٥ يُونُس] : ﴿يَا قوم إِن كُنْتُم آمنتم بِاللَّه فَعَلَيهِ توكلوا إِن كُنْتُم مُسلمين ۝ فَقَالُوا على الله توكلنا﴾ وَقَالَ تَعَالَى [٤٤ الْمَائِدَة] : ﴿إِنَّا أنزلنَا التَّوْرَاة فِيهَا هدى وَنور يحكم بهَا النَّبِيُّونَ الَّذين أَسْلمُوا للَّذين هادوا﴾ وَقَالَت بلقيس [٤٤ النَّمْل] : ﴿رب إِنِّى ظلمت نَفسِي وَأسْلمت مَعَ سُلَيْمَان لله رب الْعَالمين﴾ وَقَالَ [١١١ الْمَائِدَة] : ﴿وَإِذ أوحيت إِلَى الحواريين أَن آمنُوا بِي وبرسولى قَالُوا آمنا واشهد بأننا مُسلمُونَ﴾ وَقَالَ [١٩ آل عمرَان] : ﴿إِن الدِّين عِنْد الله الْإِسْلَام﴾ وَقَالَ [٨٥ آل عمرَان] : ﴿وَمن يبتغ غير الْإِسْلَام دينا فَلَنْ يقبل مِنْهُ﴾

وَقَــالَ تَعَــالَى [٨٣ آل عمــرَان] : ﴿أفغير دين الله يَبْغُونَ وَله أسلم من فِي السَّمَاوَات وَالْأَرْض طَوْعًا وَكرها﴾].

الشيخ: كل هـذا يـدل عـلى أن الإسـلام هـو الانقيـاد لله جـل وعـلا وطاعتـه والاستسلام له، حتى الاستسلام لا يزال النـاس يـستعملونه، يعنـي لا يكـون عنده أي إباء وأي اعتراض، مستسلم منقاد وأطاع، ولهذا كـان هـذا هـو الـذي أمر الله جل وعلا به عباده كلهم في الأصل هذا هو الأصل، الإسلام يدخل فيـه الدين كله نعم.

القارئ: [فَذكر إِسْلَام الكائنات طَوْعًا وَكرها لِأَن الْمَخْلُوقَات جَمِيعهَا متعبدة لَـهُ التَّعَبُّد الْعَام سَوَاء أقرّ الْمقر بذلك أَو أنكرهُ].

الشيخ: الكائنات هذه استـسلامها استـسلام قهـر، كـون أو كـون وقـدر، وإن كانت مثلا ليست مكلفة، فهي مطيعة لله جل وعلا منقادة له لا يمكن أن تتـأبى عليه، كل الكائنات منقادة لله جل وعلا، وقد يكون هذا أيضا زيادة عـلى ذلـك عبادة يعني ما كلفت، ولهـذا قـال: ﴿إن كل من في السماوات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا﴾، وأخبر أنها كلهـا تـسبح بحمـده، كـل مـن في الـسماوات والأرض يسبحون ولكن لا نفقه تسبيحهم، والـصحيح مـن أقـوال العلـماء في هذا أن التسبيح بلسان المقال وليس بلسان الحال، لأن منهم من يقـول: تـسبيح الكائنات بلسان الحـال، بمعنـى أن العاقـل إذا نظـر إليهـا صـارت دلـيلا عـلى

وجوب عبادة الله، سبح الله جل وعلا، هذا بلسان الحال، والصحيح خلاف هذا، أنها هي نفسها تسبح، ولهذا ثبت أن الطعام كان يسمعون تسبيحه عند الرسول ﷺ الصحابة، والحصى والجذع كان يحن والحجر كان يسلم على النبي ﷺ، يقول: السلام عليك يا رسول الله، وقد أخبر الله جل وعلا أن الجبال كانت تسبح مع داوود وغيرها، وذكر الله جل وعلا أشياء يعني تتكلم مثل قول الله جل وعلا: ﴿كلما جاءوا شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لما شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة﴾، ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعلمون﴾، فهذا ما جاء، يعني أعضاء الإنسان تشهد عليه وتتكلم وتنطق بالنطق الذي يعرفه هو وغيره ويسمعه، الأعضاء كلها، هذه يعني على ظاهرها يجب أن نفهمها على ظاهرها، وكذلك الكائنات تسبح حقيقة ولكن لا نعرف، وما من مخلوق من مخلوقات الله المتحركة والجامدة إلا وهي تخضع لله وتعبده، وذكر الله جل وعلا شيء من هذه النماذج، في قوله جل وعلا لما أعطى سليمان منطق الأشياء، فعرفه لها، حتى يعني فيها الفصاحة والبلاغة، لما قالت الذرة النملة، لما أتوا على واد النمال: ﴿قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها﴾، قول فصيح بليغ، يعني للاتقاء من الخطر، خطر كونهم يحطمونهم،

يحطمون الذر، وكذلك الهدهد لما تفقد الهدد ما وجده، فسأل عنه، قالوا: ما موجود غائب، فتوعده لأذبحنه أو ليأتيني ببرهان يعني بدليل، فجاءه ببرهان جاء يقابله كلام عجيب بجرأة، قال: أحطت بما لم تحط به، يقابل سليمان بهذا المنطق: ﴿أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾، إلى آخره، ثم جعله رسول أرسله بكتاب، فإذاً الأشياء عندها عبادة لله جل وعلا، وعندها شعور سواء كانت حية أو غير حية، فالهدهد جاء بهذه صار داعية إلى التوحيد، ويذكر أنه أيضا أراد أن يمزح على سليمان حتى، فقال له: يا نبي الله أريد أن أغديت وأعشيك أنت وجنودك، أنت تغدينا وتعشينا الهدهد؟ قال: نعم بشرط أن يكون في الجزيرة الفلانية التي في ا لبحر، فقال: طيب ما فيه مانع، فذهب هو وجنوده، وصلوا المكان ذهب الهدهد يأتي بالعشاء وبالغداء فجاب جرادة، يمسكها بمنقاره وغمسها في البحر أمام سليمان، وقال: يا بني الله من يفوته اللحم لا يفوته المرق هذا غداؤكم، يقول: بقي سليمان يضحك عاما سنة وهو يتذكر هذه الضحك، يعني كل هذا يدل على عقل، لهم عقول نعم.

القارئ: [وهم مدينون لَهُ مدبرون فهم مُسلمُونَ لَهُ طَوْعًا وَكرها لَيْسَ لأحد من الْمَخْلُوقَات خُرُوج عَمَّا شاءه وَقدره وقضاه وَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بِهِ وَهُوَ رب الْعَالمين وملـيكهم يصرفهم كَيفَ يَشَاء وَهُوَ خالقهم كلهم وبارئهم

ومصورهم وكل مَا سواهُ فَهُوَ مربوب مَصْنُوع مفطور فَقير مُحْتَاج معبد مقهور وَهُوَ سُبْحَانَهُ الْوَاحِد القهار الْخَالِق البارئ المصور.

وَهُوَ وَإِن كَانَ قد خلق مَا خلقه بِأَسْبَاب فَهُوَ خَالق السَّبَب والمقدر لَهُ وَهَذَا مفتقر إِلَيْهِ كافتقار هَذَا وَلَيْسَ فِي الْمَخْلُوقَات سَبَب مُسْتَقل بِفعل خير وَلَا دفع ضرّ بل كل مَا هُوَ سَبَب فَهُوَ مُحْتَاج إِلَى سَبَب آخر يعاونه وَإِلَى مَا يدْفع عَنهُ الضِّدّ الَّذِي يُعَارضهُ ويمانعه.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَحده الْغنى عَن كل مَا سواهُ لَيْسَ لَهُ شريك يعاونه وَلَا ضد يناوئه ويعارضه قَالَ تَعَالَى [٣٨ الزمر] : ﴿قل أَفَرَأَيْتُم مَا تدعون من دون الله إِن أرادنى الله بضر هَل هن كاشفات ضره أَو أرادنى برحمة هَل هن ممسكات رَحمته قل حسبى الله عَلَيْهِ يتوكل المتوكلون﴾].

الشيخ: جاء في تفسير هذه الآية، أن الله ﷻ أمر قال: قل لهؤلاء المشركين أرأيتم ما تدعون من دون الله، يعني أخبروني هل هذه الآلهة التي تدعون من دون الله، إن أرادني الله بضر تكشف الضر وتزيله عني؟ أو أرادني برحمة يمكن أن تمسك الرحمة ولا توصلها إلي؟ يقول مجاهد: فسألهم فسكتوا، لأنهم يعلمون أنها ليست كذلك، لا تنفع ولا تضر نعم، فهم يعرفونها، ولهذا كانت دعوتهم إياها وعبادتهم لها مجرد طلب شفاعة يقولون: اشفعي لنا، وعرف أنهم يقولون: إننا

أصحاب ذنوب، وهذه لا ذنوب لها فنجعلها وساطة بيننا وبين ربنا، يكفي هذا.